عن التنوخي (ت ٣٨٤) : نشوار المحاضرة (نشر عبود الشالجي) - الجزء ٥ / ص ٦٨-٦٤ - نقلا عن كتاب الوزراء للصابي ص ١٣٠

حدث أبو علي التنوخي قال حدثني أبو محمد الحسن بن محمد الصلحي الكاتب قال حدثني غير واحد من كتاب الحضرة أن أبا أحمد العباس بن الحسن لما مات المكتفي بالله جمع كتابه وخواصه وخلا بهم وشاورهم فيمن يقلده الخلافة فأجمعوا وأشاروا على العباس بعبد الله بن المعتز إلا أبا الحسن بن الفرات فإنه أمسك فقال له العباس لم أمسكت ولم تورد ما عندك فقال هو أيها الوزير موضع إمساك قال ولم قال إنه وجب أن ينفرد الوزير أعزه الله بكل واحد منا فيعرف رأيه وما عنده ثم يجمع الآراء ويختار منها بصائب فكره وثاقب نظره ما شاء فإما أن يقول كل واحد رأيه بحضرة الباقين فربـما كان عنده ما يسلك سبيل التقية في كتمانه وطيه قال صدقت والله قم معي فأخذ بيده ودخلا وترك الباقين بـمكانهم فقال له ابن الفرات قررت رأيك على ابن المعتز قال هو أكبر من يوجد قال وأي شيء تعمل برجل فاضل متأدب قد تحنك وتدرب وعرف الأعمال ومعاملات السواد وموقع الرغبة في الأموال وخبر المكاييل والأوزان وأسعار المأكولات والمستغلات ومجاري الأمور والتصرفات وحاسب وكلاءه على ما تولوه وضايقهم وناقشهم وعرف من خياناتهم واقتطاعاتهم أسباب الخيانة والاقتطاع التي يدخل فيها غيرهم فكيف يتم لنا معه أمر إن حمل كبيرا على صغير وقاس جليلا على دقيق هذا لو كان ما بيننا وبينه عامرا وكان صدره علينا من الغيظ خاليا فكيف وأنت تعرف رأيه قال العباس وأي شيء في نفسه علينا قال أنسيت أنه منذ ثلاثين سنة يكاتبك في حوائجه فلا تقضيها ويسألك في معاملاته فلا تـمضيها وعمالك يصفعون وكلاءه فلا تنكر ويتوسل في الوصول إليك ليلا فلا تأذن وكم رقعة جاءتك بنظم ونثر فلم تعبأ بها ولا أجبته إلى مراده فيها وكم قد جاءني منه ما هذا سبيله فلم أراع فيه وصولا إلى ما يريد إيصاله إليه وهل كان له شغل عند مقامه في منزله وخلوته بنفسه إلا معرفة أحوالنا والمساءلة عن ضياعنا وارتفاعنا وحسدنا على نعمتنا هذا وهو يعتقد أن الأمر كان له ولأبيه وجده وأنه مظلوم منذ قتل أبوه مهضوم مقصود مضغوط فكيف يجوز أن نسلم إليه نفوسنا فتحرس فضلا عن أموالنا فقال العباس صدقت والله يا أبا الحسن فمن يقلد وليس ها هنا أحد قال تقلد جعفر بن المعتضد فإنه صبي لا يدري أين هو وعامة سروره أن يصرف من المكتب فكيف أن يجعل خليفة ويملك الأعمال والأموال وتدبير النواحي والرجال ويكون الخليفة بالاسم وأنت هو

على الحقيقة وإلى أن يكبر قد انغرست محبتك في صدره وحصلت ما حصل المعتضد في نفسه قال فكيف يجوز أن يبايع الناس صبيا أو يقيموه إماما فقال له أما جواز هذا فمتى اعتقدت أنت أو نحن إمامة البالغين من هؤلاء القوم وأما إجابة الناس فمتى فعل السلطان شيئا فعورض فيه أو أراد أمرا فوقف وأكثر من ترى صنائع المعتضد وإذا أظهرت أنك اعتمدت في ذلك مراعاة حقه وإقرار الأمر في ولده وفرقت المال وأطلقت البيعة وقع الرضا وسقط الخلاف وطريق ما تريده أن توافق بعض أكابر القواد وعقلاء الخدم على المضي إلى دار ابن طاهر وحمله يعني الجعفر بن المعتضد إلى دار الخلافة وأن تستر الأمر إلى أن يتم التدبير وإن اعتاض معتاض مد بالعطاء والإحسان فقال العباس هذا هو الرأي واستدعى في الحال مؤنسا مولى المعتضد وأورد عليه ما ذهب فيه إلى الجنس الذي أشار به أبو الحسن من الوفاء للمعتضد ورعاية ما كان منه في اصطناع الجماعة ورسم له قصد دار ابن طاهر وحمل جعفر إلى دار الخلافة والسلام عليه بها ففعل وماج الجند ففرق فيهم مال البيعة ودخل عليهم من طريق الوفاء للمعتضد وتم التدبير فلما زال أمر العباس وكان من قتله ما كان وانتظمت الأمور بعد قتل ابن المعتز وتقلد أبو الحسن الوزارة صارت ثـمرة هذا الرأي له وكان يقف بين يدي المقتدر بالله وهو صبي قاعد على السرير فيخاطب الناس والجيش عنه فإذا انصرفوا أمرت السيدة بأن يعدل بأبي الحسن إلى حجرة فيجلس فيها ويخرج المقتدر فيقوم إليه فيقبل يده ورأسه ثم يقعد ويقعده في حجره كما يفعل الناس بأولادهم وتقول له السيدة من وراء الباب هذا يا أبا الحسن ولدك وأنت قلدته الخلافة أولا وثانيا تعني ما تقدم من مشورته على العباس به وبتقلده الخلافة من بعد إزالة فتنة ابن المعتز فيقول ابن الفرات هذا مولاي وإمامي ورب نعمتي وابن مولاي وإمامي وبقي على ذلك مدة وزارته الأولى وتمكن أبو الحسن من الخزائن والأموال وفعل ما شاء وأراد